

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/717-756م

الدكتور: مرزاق بومداح¹

¹المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر

merrzzakk@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/10 تاريخ القبول: 2019/06/25 تاريخ النشر: 2019/07/01

ملخص:

تم فتح بلاد الأندلس على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير منذ عام 92هـ/711م، وتمكنوا خلال أعوام قليلة من إخضاع جميع مناطق بلاد الأندلس باستثناء منطقة جبلية وعرة في أقصى الشمال الغربي للبلاد، التي يطلق عليها اسم صخرة بلاي، وقد تمكن القائد القوطي بلاي من تجميع فلول القوط المهزمة وتحصنوا هناك، وتمكنوا بعد ذلك من توسيع مناطق نفوذهم، واستطاع نصارى الأندلس خلال عهد ألفونسو الأول من تأسيس إمارة أشتوريس التي أخذت تتمدد شيئاً فشيئاً حتى تمكنت بعد عدة قرون من إخراج المسلمين نهائياً من بلاد الأندلس التي أصبحت بسبب تهاون المسلمين ودخولهم في صراعات قبلية عنصرية، وتنازعهم حول تولي مقاليد الحكم بلاداً نصرانية كما كانت قبل الفتح الإسلامي لها.

كلمات مفتاحية: بلاي؛ الأندلس؛ الشمال الغربي؛ أشتوريس؛ النصارى، ألفونسو الأول.

Résumé:

Le pays d'Andalousie a été conquis par Tariq bin Ziyad et Musa bin Naseer depuis 92 AH / 711 après JC, et en quelques années, ils ont pu subjuguier toutes les régions d'Andalousie, à

l'exception d'une zone montagneuse accidentée à l'extrême nord-ouest du pays, qui s'appelle le rocher de Pelayo. Après avoir rassemblé les restes des Goths vaincus et s'y sont fortifiés, puis ont pu étendre leurs zones d'influence, les chrétiens d'Andalousie ont réussi sous le règne d'Alphonse I à établir la principauté d'Asturies, qui a commencé à s'étendre peu à peu jusqu'à ce qu'après plusieurs siècles, il ait pu expulser définitivement les fidèles du pays d'Andalousie, ce qui est devenu dû à la complaisance et à l'inaction des musulmans un pays chrétiens tel qu'il était avant la conquête islamique.

Mots-clés : Pelayo ; l'Andalousie ; Nord-ouest; Asturies; Les chrétiens; Alfonso I.

المؤلف المرسل: الدكتور مرزاق يومداح

1. مقدمة :

تمكن المسلمون بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير من فتح بلاد الأندلس في سنة 92هـ/711م، ولكنهم لم يتمكنوا من إخضاع هذه البلاد بالكامل، حيث بقي جزء في أقصى الشمال الغربي لم يخضع للحكم الإسلامي، وكانت فلول القوط الغربيون المنهزمة أمام جيوش الفتح الإسلامي قد فرت إلى هاته المناطق، وتحصنوا بها.

وهنا يتبادر إلى الذهن التساؤلات التالية: كيف تم فتح بلاد الأندلس؟ وكيف تمكن الأمير القوطي بلاي من قيادة حركة الثورة ضد جيوش الفتح الإسلامي؟ وما هي العوامل التي أدت إلى قيام مملكة أستوريس؟ وما هي أهم آثار هذا التمرد النصراني على الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس؟

2. الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس:

بعد أن تمكن موسى بن نصير⁽¹⁾ ومن معه من ترسيخ الدين الإسلامي في بلاد المغرب، كانت الخطوة التالية هي فتح بلاد الأندلس؛ فاستشار الخليفة الأموي

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) في هذا الأمر، وقد تردد الخليفة في البداية للقيام بهذا العمل الكبير كما يذكر صاحب أخبار مجموعة وابن الأثير خوفاً على المسلمين من المخاطرة في بحر شديد الأهوال، ولكن موسى بن نصير تمكن من إقناع الخليفة بالأمر، وتم الاتفاق على أن يسبق الفتح اختبار المكان بالسرايا أو الحملات الاستطلاعية⁽²⁾.

جهز موسى بن نصير جيشاً تعداده خمسمائة مقاتل من بينهم مائة فارس، بقيادة طريف بن مالك⁽³⁾، وكان من البربر، فعبروا البحر من سبتة في أربع سفن قدمها لهم حاكم سبتة الكونت يوليان⁽⁴⁾، فنزلوا في جزيرة صغيرة تسمى بالوماس (Palomas) التي سميت فيما بعد بجزيرة طريف باسم قائد هذه الحملة، وكان ذلك في رمضان من سنة 91هـ/جويلية 710م، وجاست الحملة خلال الجزيرة الخضراء بإرشاد حاكم يوليان، فأصابته كثيراً من الغنائم، وقوبلت بالإكرام والترحيب، ثم عادت في أمن وسلام، وقص قائدها على موسى بن نصير نتائج رحلته، فاستبشر بالفوز، وجد في أهبة الفتح⁽⁵⁾.

ومن المتوقع أن يكون طريف بن مالك قد درس أحوال المنطقة وتعرف على مواقعها، وأرسل جماعات إلى عدة أماكن منها إلى جبل كالي (جبل طارق) لهذا الغرض؛ وأدرك أن ردود فعل القوط⁽⁶⁾ أضعف من أن تقف لجيشه، فكانت هذه المعلومات عوناً في وضع خطة الفتح، والاستعداد الجيد لغزو بلاد الأندلس⁽⁷⁾.

تذكر لنا المصادر التاريخية أنه في شهر رجب من عام 92هـ/أفريل 711م ندب موسى بن نصير لفتح الأندلس رجلاً من خيرة جنده وهو طارق بن زياد⁽⁸⁾، وكان يومئذ حاكماً لمدينة طنجة، والذي تذكر عنه العديد من المصادر التاريخية أنه من قبيلة نفزة البربرية، ويذكر صاحب الأخبار المجموعة أن موسى بن نصير قد جهز طارق بن زياد في سبعة آلاف مقاتل جلهم من البربر، وتمكن من عبور سبتة

الدكتور: مرزاق يومداح

بأربع سفن ليوليان أو غيره إلى الجزيرة الإيبيرية، ونزل بجبل كالي (Mons Calpe) والذي عُرف فيما بعد باسم جبل طارق (Gibraltar)، وكان ذلك في شهر شعبان 92هـ/711م⁽⁹⁾.

وسار الجيش الإسلامي بقيادة طارق بن زياد إلى جنوب إسبانيا في الجزيرة الخضراء (Alge ciras)، وهناك وقعت مناوشات في معركة أو أكثر قرب جبل طارق مع قوات القوط النصرانية بقيادة ثيودومير، واستمر القتال لمدة ثلاثة أيام، انتصر فيها المسلمون، وكان ذلك قبل معركة برباط الرئيسية، وكان لذريق⁽¹⁰⁾ في تلك الأثناء منشغلاً بقمع بعض ثورات البشكنس في بنبلونة (Pamplona)، فجاءه الخبر الذي وقع عليه كالصاعقة، فتوجه إلى طليطلة، وبدأ يتجهز للقاء الجيش الإسلامي، وبعث قائده إديكو لرد المسلمين حتى يستكمل أهبطه. ولكن طارق بن زياد تمكن من هزيمته، ثم اخترق بسائط الفرنتيره (La Frontera)⁽¹¹⁾ معتزماً السير صوب عاصمة القوط. ولما علم طارق بن زياد بأخبار هذا التجمع الكثيف كتب إلى موسى بن نصير يستنجده، فأرسل إليه جيشاً تعدادده قرابة خمسة آلاف مقاتل، بقيادة طريف بن مالك؛ فحملتهم سفن عملها المسلمون، ولعل يوليان هنا قدم التسهيلات لعبورهم، وكملت عدة الجيش الإسلامي الذي قدر باثني عشر ألف مقاتل جلهم من المسلمين البربر⁽¹²⁾.

واختلفت الروايات التاريخية في تعداد الجيش الذي أعده لذريق لقتال المسلمين، فالبعض جعله مائة ألف مقاتل كصاحب الأخبار المجموعة وابن الأثير والمقري، وذكر ابن المقري في موضع آخر أن تعدادده بلغ سبعين ألف فارس، وأما ابن خلدون فيذكر أن تعدادده قد بلغ أربعون ألفاً، وكان لذريق متيقناً من هزيمة الجيش الإسلامي لدرجة أنه كان يحمل معه بعض الدواب لا تحمل غير الحبال لكتاف أسرى المسلمين، وكان الجيش القوطي يفوق الجيش الإسلامي عدة مرات، وربما أيضاً حتى في التنظيم والتدريب، وهو يحارب في بلد يعرفه وقريب من مصدر

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

الإمداد، وأما الجيش الإسلامي فكان متفوقا بقوة العقيدة الإسلامية وأهدافها السامية متعاليا على كل روابط الأرض ودوافع الدنيا في حين كان الجيش القوطي يفتقد هذه العقيدة، والمعاني النبيلة التي كانت عاملا مهما من عوامل انتصار المسلمين على أعدائهم⁽¹³⁾.

وفي وادي لكّة على مقربة من شذونة، وكان يطلق عليه نهر برباط جرت معركة طاحنة بين الجيش الإسلامي والجيش القوطي، وقد استمرت لمدة ثمانية أيام من 28 رمضان إلى 05 شوال من عام 92هـ/711م، وقد انتهت المعركة بهزيمة الجيش القوطي وفرار قائده لذريق الذي اختفى، حيث ذكر بعض المؤرخين كابن عبد الحكم وابن عذاري أنه قُتل في المعركة، وفي رواية ابن الأثير أنه غرق في نهر وادي لكّة، وأما ابن القوطية والمقري فيذكر أن لذريق قد رمى بنفسه في وادي لكّة مثقلا بالسلاح، فلم يعلم له خبر ولم يوجد، ويذكر صاحب أخبار مجموعة أن لذريق قد انساح به الفرس في الطين فلم يوجد حيا ولا ميتا، وغنم المسلمون في هذه المعركة غنائم كثيرة، من بينها الخيول بحيث لم يبق منهم راجل، وقتل منهم ثلاثة آلاف رجل، فأسرع طارق بن زياد بمن بقي معه من قوات حتى نزل بأهل مدينة شذونة، فامتنعوا عليه، فشدد الحصار عليهم حتى أنهكهم وأضرهم، فتهيأ له فتحها عنوة، فحاز منها غنائم، ثم مضى منها إلى مورور، ثم عطف إلى قرمونة فمربعينه المنسوبة إليه، ثم مال على إشبيلية فصالحه أهلها على الجزية⁽¹⁴⁾.

واصل طارق بن زياد فتح بلاد الأندلس فتوجه إلى إستجة، وتمكن من فتحها بعد قتال عنيف قتل فيها معظم المدافعين عن المدينة، وهرب من استطاع منهم إلى طيلطة، وبعدها قام بتوزيع جيشه لفتح مختلف أنحاء البلاد الأندلسية، فوجه مغيث مولى عبد الملك بن مروان على رأس سبعمائة فارس إلى قرطبة، وتمكن من فتحها، وأرسل جيشا آخر إلى مدينة مالقة (Malaga)

الدكتور: مرزاق يومداح

ففتحوها، وآخر إلى كورة إلبيرة (Alvira) حيث افتتح مدينتها غرناطة، ومضى الجيش الإسلامي إلى تدمير (Tudmir) ففتحوها، وكانت قاعدتها أوريوالة (Orihuela)، ثم أُطلق على تدمير اسم مرسية، وأما طارق بن زياد فقد إلى طليطلة (Toledo)، وكانت عاصمة دولة القوط، وتمكن من فتحها، حيث وجدها خالية من الجنود، حيث فرّ حاكمها بجنوده، ولم يبق فيها إلا قلة من الأهالي كان معظمهم من اليهود، وقد عامل طارق بن زياد أهلها معاملة حسنة، وقرر أن يترك حامية بها، ويسير عنها إلى مدينة خلف الجبل كانت تسمى مدينة المائدة حيث تحصن بها حاكم طليطلة وجنده؛ فتمكن من فتحها، وبعدها تابع طريقه شمالا حسب ما يذكر المقرئ بقوله: "اقتحم أرض جليقية واخترقها حتى انتهى إلى مدينة استرقة، فدوخ الجهة، وانصرف إلى طليطلة، والله أعلم"، بينما تؤكد روايات أخرى بأن طارق بن زياد قد اكتفى آنذاك بذلك القدر من الفتوحات، ثم عاد إلى طليطلة قبل حلول فصل الشتاء على ما يبدو، والظاهر أن عودته إلى طليطلة كانت في أوائل عام 93هـ/أواخر 711م، وقد استغرقت عمليات الفتح حوالي عام، وذلك قبل عبور موسى بن نصير إلى الأندلس⁽¹⁵⁾.

يمكننا القول أن حملة طارق بن زياد كانت ناجحة بكل المقاييس حيث تمكن خلال فترة قصيرة من الزمن من فتح عدة مدن في شبه الجزيرة الإيبيرية، ومنها قرطبة وكانت إحدى العواصم الإقليمية، وطليطلة التي كانت عاصمة لدولة القوط، وكان من الصعب على طارق بن زياد بما يتوافر لديه من جيش محدود العدد، والذي فقد منه الكثير أثناء خوضه للعديد من المعارك أن يسيطر على تلك المدن المفتوحة، وكان موسى بن نصير مطلعاً على تحركات طارق بن زياد وفتوحاته حيث كان هذا الأخير يُعلمه بكل جديد، وليس مستبعداً أن يكون طارق بن زياد قد طلب من موسى بن نصير مدداً لإعانتته في فتح باقي المدن الأندلسية⁽¹⁶⁾.

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

تذكر لنا المصادر التاريخية أن موسى بن نصير قد قرر اللحاق بطارق بن زياد لاستكمال فتح باقي الأندلس بجيش ضخم بلغ تعداده حوالي ثمانية عشر مقاتل، وعبر المضيق في رمضان من عام 93هـ/712م، وكان هذا الجيش يتكون من خيرة جنده، وجُلهم من العرب اليمينية والقيسية، ونزل في جبل الفتح، ثم دخل الجزيرة الخضراء، وأقام بها أياما للراحة للتأهب للمعركة القادمة، وأكد المجلس الحربي الذي عقده موسى بن نصير على أن يتوجه إلى مناطق جديدة غير تلك التي سار إليها طارق بن زياد، وكان من أكثر المتشاورين تأكيدا على هذا الرأي يوليان وأصحابه، فتقرر التوجه إلى إشبيلية، وغزو ما بقي من غرب الأندلس، فزحف موسى بن نصير بجيشه على مدينة شذونة (Medinasidonia) فافتتحها عنوة، وكانت أول فتوحاته، ومضى بعد ذلك إلى قلعة رعواق (Alcalu de Guadaira) أو قلعة حامو فافتتحها، ثم تمكن من فتح قرمونة، وبفتح هذه المدينة تمت إقامة خط عسكري متين يمتد من الجزيرة الخضراء إلى شذونة إلى قرمونة إلى إستجة إلى قرطبة مدعما بذلك مركز الجيوش الإسلامية وعمليات الفتح، ثم توجه موسى بن نصير إلى مدينة إشبيلية، وكانت من أعظم مدائن الأندلس شأنا، فحاصرها أشهر، ثم تمكن من فتحها، وسار بعدها إلى ماردة (Merida)، وقبل أن يصل إليها استولى على بلدة لقنت، فلما وصل إلى ماردة وجدها أحصن وأقوى مما يتصور، وتمكن من فتحها صلحا بعد حصارها لعدة أشهر، وكان ذلك في مستهل شهر شوال من عام 94هـ/713م، وأثناء حصار ماردة انتهز نصارى إشبيلية واتصلوا برفاقهم في مدينة لبلة وتمكنوا من انتزاع إشبيلية من يد المسلمين، وقتلوا ثمانين رجلا، فلما بلغ هذا الخبر إلى موسى بن نصير وجه ابنه عبد العزيز على رأس جيش إلى إشبيلية، وتمكن من افتتاحها مرة أخرى، وأراد بعد ذلك أن يعاقب أهل لبلة على فعلتهم فسار إليهم، وحاصرههم وتمكن من فتح هذه المدينة عنوة، كما فتح

الدكتور: مرزاق يومداح

باجة وأكسونة، وتم أيضا فتح مدينة تدمير صلحا على يد عبد العزيز بن موسى في رجب من عام 94هـ/أفريل 713م⁽¹⁷⁾.

توجه موسى بن نصير من ماردة في عقب شهر شوال من عام 94هـ/713م صوب طليطلة للقاء طارق بن زياد، وكان قد كتب إلى طارق بن زياد بالتوجه إليه في مجموعة من جيشه، وعسكر موسى بن نصير في مكان يستعرض فيه الجيش عُرف بوادي المعرض، وذكر البعض أن لقاءهما قد تم عند طليطلة أو قرطبة، والراجح أنه كان خارج مدينة طليطلة التي تبعد حوالي 150 كيلو متر عن طليطلة، ثم توجه القائدان إلى طليطلة التي دخلها في ذي القعدة أو ذي الحجة من عام 94هـ/خريف 713م، وأقاما بالجيش الإسلامي فصل الشتاء أو جله في طليطلة، يرتبون أحوالها، وينظمون شؤونها، ويخططون لفتح شمال شبه الجزيرة الإيبيرية، ودعوا الناس إلى دين الإسلام وحثوهم على اعتناقه، ووجه موسى بن نصير من طليطلة كتابا إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بدمشق يخبره بأنباء هذا الفتح، وحمل هذا الكتاب وفد على رأسه علي بن رباح، ومغيث الرومي، فلما قرأ الخليفة هذا الكتاب خرّ لله عز وجل ساجدا⁽¹⁸⁾.

وعند حلول فصل الربيع تهيأ الجيش الإسلامي لترك طليطلة وقرر التوجه نحو الشمال، وكان ذلك في حوالي شهر جمادى الثانية من عام 95هـ/714م، وقد سار الجيش الإسلامي سوية أو يتقدمه طارق بن زياد نحو الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الإيبيرية إلى المنطقة التي عُرفت بالثغر الأعلى، فتم فتح سرقسطة (Zaragoza) أو المدينة البيضاء دون قتال شديد على ما يبدو كما يذكر المقري، وأقاموا هناك ينظمون أحوالها، وأنشأوا فيها مسجدا، وفتحت مناطق حول سرقسطة أو كانت تابعة لها، ومدن أخرى في تلك الناحية، وهي وشقة (Huesca)، ولاردة (Lerida)، وطركونة (Trragona)، وبرشلونة (Barcelona)، وصارت المدن الرئيسية في الشمال في أيديهم، ثم وجه موسى بن

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

نصير طارق بن زياد إلى جليقية، وسار هو إلى البرنيه فغزا سبتمانية التي كانت آنذاك تابعة للقوط، وتوغل في جنوبي فرنسا حيث فتح عدة مناطق من بلاد الفرنجة حيث استولى على قرقشونة (Garcasona)، وأربونة (Narbona)، وحصن لوزون (Lyon) على وادي رُدونة (نهر الرون)، وقد أشار ابن عذاري إلى ما بلغه موسى بن نصير متوغلا في الشمال بقوله: "وجاءه أهل حليقية يطلبون الصلح؛ فصالحهم. وفتح بلاد البشكنش، وأوغل في بلادهم حتى أتى قوما كاليهائم. وغزا بلاد الإفرنج"، وذكر لنا المقري أن أهداف موسى بن نصير من هذه الفتوح ما نصه: "وكان يؤمل أن يخترق ما بقي عليه من بلد إفرنجة، ويقتحم الأرض الكبيرة (فرنسا) حتى يتصل بالناس إلى الشام مؤملاً أن يتخذ مخترقه بتلك الأرض طريقاً مهيباً يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق وإليه على البر لا يركبون بحراً"، وبينما كان موسى بن نصير يستعد لاقتحام جليقية أتاه مغيث الرومي رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك ومولاه عائداً من دمشق يأمره بالخروج عن الأندلس والإضراب عن التوغل فيها⁽¹⁹⁾.

ولما كان موسى بن نصير مصراً على إتمام ما نهض إليه فقد لاطف مغيث الرومي رسول الخليفة، وسأله إنظاره إلى أن ينفذ عزمه في الدخول إليها، والمسير معه في البلاد أياماً ويكون شريكه في الأجر والغنيمة، فقبل مغيث الرومي ذلك، وقرر موسى بن نصير حينئذ أن يوجه جهده لإخضاع المناطق الجبلية من بلاد الأندلس حيث كان النصارى يعتصمون بها في دفاع يائس ضد المسلمين، وتمكن الجيش الإسلامي من دخول جليقية والاستيلاء على معظم قلاعها، وطاردوا العدو الذي فرّ إلى جبال أشتوريس (قمم كنتبرية)، واعتصم بها، في مكان أطلق عليه المؤرخون الصخرة أو صخرة بلاي قرب الساحل الشمالي عند خليج بسكاي، فحاول موسى بن نصير محاصرة العدو وإرغامه على الاستسلام جماعة بعد

الدكتور: مرزاق يومداح

جماعة حتى لم يبق سوى زعيم يدعى بلای أو بلايو وقليل من أنصاره، وبينما كان موسى بن نصير يشدد عليه الحصار حتى كاد يلقي سلاحه إذا بالخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك يرسل إليه رسولا آخر يكنى أبا نصر متعجلا إياه في العودة إلى دار الخلافة بعد أن استبطأ رجوعه إثر وصول رسوله الأول مغيث الرومي، فعاد موسى بن نصير تاركا ذلك الزعيم ومن معه معتصما بالجبال، وقبل مغادرته بلاد الأندلس عيّن ابنه عبد العزيز واليا عليها، وجعل مقره إشبيلية، ورحل في شهر ذي الحجة من عام 95هـ/منتصف صيف 714م، فعبر المضيق ومعه طارق بن زياد ومغيث الرومي وكبار الجند، وكان معهم يوليان، وتوجهوا إلى دمشق⁽²⁰⁾.

3. تمرد الأمير القوطي بلای:

نحاول في هذا المبحث ذكر نبذة مختصرة عن حياة الأمير القوطي بلای، ثم نتطرق إلى التمرد والثورات التي قادها ضد ولاية الأندلس.

2. 1 التعريف بالأمير بلای:

اختلفت الروايات التاريخية حول أصل بلای، الذي يذكره البعض باسم بلايو أو بلاجيوس أو بلايّه، فالروايات النصرانية تذكر أنه كان ابنا لأمير قوطي يسمى برمودو (Vermudo)، وكان أيضا ابن أخي لذريق، وأن بلای اختلف مع لذريق فنفاه عن طليطلة قبل دخول المسلمين إلى بلاد الأندلس، فذهب إلى أشتوريس، وأقام نفسه أميرا عليها، وتذهب رواية سبستيان السلمنقي إلى أنه لما غزا المسلمون بلاد الأندلس هلك معظم القوط بالسيف أو الجوع، وأن من نجا منهم فرّ بعضهم إلى غالة (فرنسا)، ولجأ معظمهم إلى أشتوريس، حيث أقاموا على أنفسهم بلايو بن الدوق فافيلاميرا عليهم، وقد حكم بلای تسعة عشر سنة، وتوفي في سنة 119هـ/737م، وتضيف مدونة سيلوس (Chronicon Silense) أن بلای كان حاملا لسيف لذريق، وأنه هرب إلى أشتوريس حينما غزا المسلمون بلاد الأندلس، وأخذ يجمع الناس لحرب المسلمين، وأما في كتاب تاريخ إسبانيا العام

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

الذي ألفه ألفونسو العاشر فيذهب إلى أن بلاي كان ابنا لفافيلادوق كنتبرية الذي كان الملك أجيكا قد نفاه من طليطلة، ويذكر لوقا التودي قصة تعلق مونوسة الأمير المسلم في تلك النواحي، وكان مقيما في خيخون (Gijon) بإحدى بنات بلاي، مما أدى إلى الخصومة بين الرجلين، ووقعت الحرب بينه وبين المسلمين، فأقامه القوط ملكا عليهم، ويذهب لوقا التودي إلى أن فافلة والد بلاي كان ابنا لشندسفتنو، وربما زعم لوقا التودي هذا رغبة في أن يجعل بلاي سليلا للبيت القوطي⁽²¹⁾.

وتمدنا الروايات الإسلامية بمعلومات أكثر تفصيلا عن أصل بلاي، فروى لنا المقري عن ابن حيان بقوله: "وذكر ابن حيان أنه في أيامه قام بجليقية علق خبيث يدعى بلاي، فعاب على العلوج طول الفرار، وأذكى قرائحهم حتى سما بهم إلى طلب الثأر، ودافع عن أرضه، ومن وقته أخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم"، وأما صاحب الأخبار المجموعة فيذكر أن بلاي من أصل جليقي من أهل أشتوريس، وأما ابن خلدون فيذكر أن بلاي: "ونسبهم في الجلالة من العجم كما تقدم. ويزعم ابن حيان أنهم من أعقاب الغوط (القوط)، وعندي أن ذلك ليس بصحيح فإن أمة الغوط (القوط) قد دثرت وغبرت وهلكت، وقل أن يرجع أمر بعد إدباره. وإنما هو ملك مستجد في أمة أخرى والله أعلم"، فصاحب الأخبار المجموعة وابن خلدون والمقري يقرون بأن بلاي من أهل الشمال وليس قوطيا، ويؤيد ابن خلدون رأيه بأن أمة القوط قد اندثرت، ولا يمكن أن يقوم أمر أمة اندثرت⁽²²⁾.

وحول رأي ابن خلدون يذكر عنان أنه يصعب علينا أن نقبل هذا الرأي على إطلاقه، فمن المحقق أن فلول النصارى التي لجأت إلى الشمال كانت مزيجاً من القوط والإسبان المحليين، ولكن الظاهر مما انتهى إلينا من أقوال الروائتين

الدكتور: مرزاق يومداح

المسلمة والنصرانية، أن الزعماء ولاسيما بلاجيوس (بلاي) كانوا من القوط، وأن ملوك الجلالقة يمتون إلى القوط بأكبر الصلات، ويذكر الدكتور رمضان أن اختيار بلاجيوس لرئاسة القوى النصرانية كان تطبيقاً لإحدى قرارات مجالس طليطلة في العصر القوطي، والتي تنص على أحقية القوط دون غيرهم من الأجناس في اعتلاء العرش، ولو كان بلاي من غير القوط لما ذكرها القوط الهاربون إلى أشتوريس، ومن ناحية أخرى فما كان للقوط أن يسلموا قيادتهم لأي نبيل قوطي مع وجود آخر من أسرة ملكية، كما أن أسماء والد بلاجيوس (بلاي) وابنه فافيل (Favila) وابنته إرميسندا (Hermesinda) هي أسماء قوطية، ولا يُعقل معها أن يكون بلاجيوس (بلاي) من غير جنس أبيه وابنيه، كما أن مؤلف مدونة البلدة (Albedense) قد أورد الحديث عنه تحت عنوان: تتابع ملوك أوفيدو القوط (Item Ordo Gothorum Ovetensium Regum)، ولو لم يكن بلاجيوس (بلاي) بالفعل قوطياً لما أورد المؤلف الحديث عنه تحت هذا العنوان⁽²³⁾.

ولا نعلم شيئاً عن نشأة بلاي وسنوات حياته الأولى، فضلاً عن ذلك فإن المعلومات المتعلقة بحياته في أواخر العصر القوطي وأثناء الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية قليلة للغاية، ومبعثرة في ثنايا المصادر اللاتينية، مما يجعلها غامضة ويشوبها الاضطراب، والمدقق في هذه المصادر يمكنه القول أن الملك القوطي إجيكا (Egica) الذي تولى الحكم فيما بين 700-787م كان موتورا من الأخوين فافيل وثيرودوفريد، ودائم التخوف على عرشه من تطلعاتهما إلى استعادته في أسرتهما، فقام الملك القوطي إجيكا بإبعادهما عن العاصمة طليطلة، والتفريق بينهما ليسهل عليه القضاء عليهما، فأبعد ثيرودوفريد والد لذريق وعم بلاي إلى قرطبة حيث فقئت عيناه، في حين أبعد أخاه فافيل والد بلاي إلى توي بإقليم جليقية حيث كانت وتيزا (غيطشة) ابن الملك القوطي إجيكا حاكماً على هذا

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

98-140هـ/717-756م

الإقليم، ووكلت له مهمة حراسته، وبعدها قام بالتخلص منه فمات متأثراً بجراحه⁽²⁴⁾.

وكان بلاي عندما قُتل أبوه مقيماً في القصر الملكي بطليطلة يعمل عضواً في الحرس الملكي، وبعد مقتل أبيه تم إبعاده عن طليطلة، وتوجه إلى أشتوريس، وظل مقيماً هناك حتى تمكن لذريق من اعتلاء العرش وإزاحة غيطشة (وتيزا)، فعاد بلاي إلى طليطلة واستعاد منصبه السابق، وأغلب الظن أن بلاي ظل في منصبه إلى غاية دخول المسلمين إلى بلاد الأندلس، وانهمزم لذريق في معركة لكّة حيث كان بلاي ضمن جنده، وبعد هذه الهزيمة قرر الفرار إلى أشتوريس والاحتماء بها، ولما امتد الفتح الإسلامي إلى أشتوريس في عام 95هـ/714م، قرر أهلها ومن ضمنهم بلاي دفع الجزية، والاعتراف بالحكم الإسلامي، وكان من شروط الصلح تقديم رهائن من بعض وجهائهم، وكان من ضمنهم بلاي حيث أرسلوا من طرف أمير أشتوريس المسلم منوسة إلى والي الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي (97-100هـ/716-719م)، وكان ذلك في بداية العام الهجري 98هـ/أوت – سبتمبر 716م، وظل بلاي مقيماً في قرطبة إلى غاية فراره فيما بين 05 شوال وآخر ذي الحجة من 98هـ/22 ماي و13 أوت 717م⁽²⁵⁾.

وأصدر الحر بن عبد الرحمن الثقفي أوامره بملاحقة بلاي وإعادته إلى قرطبة، وكادت القوات الإسلامية أن تظفر ببلاي في إحدى مدن أشتوريس التي تسمى بريس (Brece) لكنه تمكن من الإفلات والهرب بمساعدة أحد العارفين للمنطقة؛ فعبر نهر بيانون متخذاً طريقه إلى وادي كانجاس الكثيف بالغابات، ومنه اختفى عن أعين مطارديه في جبال قمم أوروبا (Los Picos de Europa)، ونظراً لوعرة المنطقة وتعقدها عادت القوات الإسلامية إلى قرطبة دون تحقيق أهدافها⁽²⁶⁾.

الدكتور: مرزاق يومداح

2.2 إعلان الأمير القوطي بلاي التمرد على القوات الإسلامية:

بعد لجوء الأمير بلاي إلى أشتوريس اتجه الناس إليه من كل صوب وحذب إلى المكان الذي تحدد في الكهف الأمن الذي عرفه المسلمون بصخرة بلاي (Pena de Pelayo) وهو كهف سانتا ماريا (Cova Saneta Mariae) أو كوفادونجا (Covadonga)، وهو أحد الجبال المعروفة بقمم أوروبا، وقرر فيه المجتمعون اختيار بلاي زعيما لهم، على أن تكون مدينة كانجاس مركزا لهم، وبذلك يكون بلاي كما يذكر المقرري أول من جمع فل النصرارى بالأندلس، وقد اطمأن بهم المقام في هذا المكان لبعده عن المسلمين الذين عجزوا عن الوصول إليه بسبب مناعة هذه الصخرة التي هي أعلى قمم جبال كنتبرية، حيث احتوى بلاي وأصحابه من هجمات المسلمين⁽²⁷⁾.

يمكن القول أن تمرد أو ثورة بلاي بدأت في سنة 717/98م، ولم يكدمضي على الفتح ست سنوات، ولكن يبدو أن بلاي ظل متقوقعا في بلدة كانجاس بأشتوريس، وأخذ يجمع الأنصار من القوط الهاربين من المسلمين، ومن الإيبيريين الرومان المقيمين في تلك الناحية، وأخذ يحرضهم على الوثوب على المسلمين المقيمين هناك، ويعيب عليهم طول الاستسلام والتراجع أمام المسلمين حتى استنهض همهم وحملهم على الثورة، وفي هذا الأمر يذكر المقرري بقوله: "فعاب على العلوج طول الفرار، وأذكى قرائحهم حتى سما بهم إلى طلب الثأر، ودافع عن أرضه، ومن وقته أخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم، وقد كانوا لا يطمعون في ذلك"⁽²⁸⁾.

وقد بدأت مظاهر التمرد في إقليم أشتوريس برفض المتمردين بقيادة بلاي الالتزام بتنفيذ شروط الصلح الذي تم عقده مع المسلمين في وقت الفتح، وشجعهم ذلك كون والي الأندلس آنذاك الحر بن عبد الرحمن الثقفي على رأس جيوشه خارج بلاد الأندلس لغزو سبتمانيا، فامتنعوا في بداية السنة الهجرية

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

100هـ/718م عن دفع الجزية المفروضة عليهم، والخراج عن أراضيهم الزراعية، ورفضوا دفع الرهائن المقررة عليهم لضمان ولائهم للمسلمين، ونظرا لحدوث بعض الاضطرابات في قرطبة فقد عاد الحربين عبد الرحمن مسرعا إليها لتوطيد الأمن فيها، وكلف نائبه على أشتوريس منوسة للقضاء على التمرد الذي قاده بلاي، ولكن هذا الأخير فشل في إقناع المتمردين بتقديم ما صولحوا عليه وقت الفتح من دفع الجزية والخراج والرهائن، وانسحب المتمردون إلى مأواهم الحصين وهو كهف سانتا ماريا أو كوفادونجا تأهباً للدفاع عن أنفسهم فيما لو أقدم المسلمون على مهاجمتهم، وأما المؤرخ المصري عنان فيذكر لنا أن الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي والي الأندلس آنذاك كان قد سيّر جيشاً في سنة 98هـ/718م إلى الشمال لإخضاع النصارى، فاجتاح المسلمون بلاد البشكنس وهضاب أشتوريس، وأوفدوا حليفهم الأسقف أوباس، وهو أخو الملك غيطشة (وتيزا) إلى بلاي ليقنعه بالتسليم وعبث المقاومة، فأبى بلاي ذلك، ولجأ إلى كهوفه المنيعه في صخرة كوفادونجا، ونفذ المسلمون إلى أعماق الجبال وحاولوا عبثاً أن يستولوا على مراكز العدو، وحالت بينهم وبينه الوديان السحيقة والآكام الرفيعة، وحوصر بلاي وأصحابه في الصخرة، وقُطعت عنهم المؤن، وتساقطوا تباعاً من الجوع، حتى لم يبق منهم على قول الرواية سوى ثلاثين رجلاً وعشر نساء. وتزعم بعض الروايات النصرانية أن بلايو كَرَّ على المسلمين، وأنه تمكن من هزيمته هزيمة شديدة، وفُقد من المسلمين ألوفا كثيرة، ووقع أوباس في الأسر، فتمت معاقبته بالموت⁽²⁹⁾.

وهكذا أصبح بلاي يُشكل تهديداً خطيراً للمسلمين في الأندلس، وكان من الضروري أن تتخذ إزاءه إجراءات قوية، وخاصة وأن حركة التمرد قد تطورت في ظل ولاية السمح بن مالك الخولاني (100-102هـ/719-721م)، واتخذت مع بداية حكم خلفه عنبسة بن سُحيم الكلبي (103-107هـ/722-736م) شكل هجمات ضد

الدكتور: مرزاق يومداح

الحاميات الإسلامية المقيمة في أشتوريس، فتصدى لها هذا الوالي قبل أن يستفحل خطرهما، فأرسل قوة عسكرية في عام 103هـ/722م بقيادة علقمة بن عامر اللخمي، هاجمت مدينة كانجاس مركز تجمع المتمردين فانسحب هؤلاء إلى معقلهم الجبلي الصخرة، ووضعوا حراسا ومراقبين على قمم الجبال المطلّة على جانبي الوادي المؤدي إلى كهف كوفادونجا، فاقتفى علقمة بن عامر أثرهم، وتهور في اندفاعه، فوقع في الكمين الذي أعده الثوار في منطقة جبلية وعرة، فحشر نفسه وجيشه في مكان ضيق لا يصلح معه خوض معركة ناجحة. وللخروج من هذا المأزق عرض التفاوض مع الثائرين، إلا أنهم رفضوا ذلك، فاضطر إلى الاصطدام بهم. وجرت المعركة في ظروف طبيعية وجغرافية غير متكافئة على الرغم من تفوق المسلمين العددي حيث كانت جبهتهم مكشوفة، وقاتلوا على جبهتين، جبهة الكهف من الأمام، وجبهة الرماة على قمم الجبال من الخلف، فأسقط في أيديهم وشرع المسلمون في الانسحاب بعد أن تكبدوا خسائر فادحة، وقُتل علقمة بن عامر في غمرة القتال⁽³⁰⁾.

وعُرفت هذه المعركة في التاريخ باسم معركة كوفادونجا، وهناك خلاف بين المؤرخين القدامى والمحدثين بشأن التاريخ الصحيح لهذه المعركة، فمنهم من يجعلها في عهد عنبسة بن سحيم (103-107هـ/721-726م)، ومنهم من يجعلها في عهد عقبة بن الحجاج السلوي (116-121هـ/734-741م)، والأرجح أنها حدثت في عهد الأول، وكانت في سنة 103هـ/722م، وعدّها النصارى بداية حركة الاسترداد، والواقع أنها لم تكن سوى مناوشة محدودة الأهمية عسكرياً، أما أهميتها السياسية فكانت مؤثرة إذ انحسر النفوذ الإسلامي على إثرها في المنطقة، ولم يعد إليها ثانية، وشكلت فرصة للمتمردين النصارى لمواصلة تحديهم للمسلمين⁽³¹⁾.

تمرد الأمير القوطي بلای وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

ولم يتوان عنبسة بن سُحيم بعد هزيمة قواته عن التضيق على بلای وجماعته، فأرسل قوات عسكرية رابطة على المداخل المؤدية إلى الكهف، فنفذت مؤن من بداخله وهلك منهم أعداد كثيرة، وتراجعت قواتهم، فاستقلهم الوالي واستخف بهم، وفي هذا الأمر يذكر المقرئ ما نصه: "ولم يبق إلا الصخرة فإنه لاذ بها ملك يقال له بلای، فدخلها في ثلاثمائة رجل، ولم يزل المسلمون يقاتلون حتى مات أصحابه جوعاً، وبقي في ثلاثين رجلاً وعشر نسوة، ولا طعام لهم إلا العسل يشتارونه من خروج بالصخرة فيتقوتون به، حتى أعيى المسلمين أمرهم، واحتقروا بهم وقالوا: ثلاثون علجاً ما عسى أن يجيء منهم"، ورأى عنبسة بن سحيم أنه من العبث إضاعة الوقت والجهد معهم، وربما رأى انعدام خطورتهم، فأجل القضاء عليهم إلى حين عودته من غزو غالة (فرنسا)، غير أنه توفي في إحدى غزواته، وكان ذلك في شهر شعبان من سنة 107هـ/مطلع 726م، وقيل في سنة 109هـ/728م⁽³²⁾.

وفي سنة 112هـ/730م في عهد أمير الأندلس الهيثم بن عبيد الكنانی أو الكلابي (111هـ/729-730م)، بعث حاكم ولاية البرنيه وهو يومئذ الزعيم المسلم الذي تعرفه الرواية النصرانية باسم منوسة أو مؤنس⁽³³⁾ -جيشاً إلى جبال أشتوريش لغزو جليقية وسحق أميرها بلای. ولكن بلای استطاع أن يصمد للمسلمين كرة أخرى، وأن يهزمهم هزيمة شنيعة. ولما رأى بلای منعة معقله وقوة عصبته، اخترق بسكونية وهاجم قوات المسلمين في الوقت الذي كانت تتأهب فيه للسير إليه، ومزق بعض وحداتها، ثم ارتد إلى هضابه فاستعصم بها. وبعد مقتل منوسة على يد عبد الرحمن الغافقي في سنة 113هـ/731م إثر ثورته عليه؛ فخلا الجو لبلای وخرج من الصخرة، وأخذ في التوسع، وخاصة إذا علمنا أن شئون الأندلس قد اضطربت بعد مقتل أميرها عبد الرحمن الغافقي وارتداد جيشه في معركة بلاط الشهداء 114هـ/732م، وشغل الولاة برد جيوش الفرنج، عن الأراضي

الدكتور: مرزاق يومداح

الإسلامية في سبتمانيا؛ فكثرت غارات العصابات الجليقية على الأراضي الإسلامية في شمال نهر دويرة (دورو) وفي منطقة أستركة، وعانى المسلمون في تلك الأنحاء كثيرا من عبث النصارى. ولما تولى عقبة بن الحجاج السلوي حكم الأندلس في سنة 116هـ/734م، ورأى خطر العصابات الجليقية وشدة عيها في الأراضي الإسلامية، سار إلى جليقية وغزاها مرة أخرى في سنة 118هـ/735 أو 736م، واستولى على بعض مواقعها، ولكن النصارى امتنعوا كعادتهم في الجبال، ولم يتمكن عقبة بن الحجاج من النيل منهم أو السيطرة عليهم⁽³⁴⁾.

واضطربت شؤون الأندلس، ونشبت الحرب الأهلية بفعل الصراعات العنصرية والقبلية. فانصرف المسلمون عنهم مدة تسعة أعوام، فأتاح لهم هذا الوضع الجديد حركة الحرية والانتشار ضمن منطقتهم، وهو أقصى ما تطلعون إليه في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ حركتهم، وصرفوا جهودهم في ظل حكم الولاة، الذين خلفوا عنبسة بن سحيم للدفاع عما اكتسبوه من أرض، واقتنعوا بحياة التقشف في منطقتهم الجبلية القاحلة والنائية⁽³⁵⁾.

4. تأسيس مملكة أستوريس:

توفي بلاي في عام 119هـ/737م، وخلفه ابنه فافيل (Favila) الذي لم يكن على مستوى والده من الهمة والنشاط، وتحاشى القيام بأي عمل عسكري، وقضى نحبه في غابات كانجاس في إحدى رحلات صيده العابثة، وكان ذلك في سنة 121هـ/739م، ولم يترك وريثا يخلفه في قيادة الحركة، فخلفه ألفونسو الأول (Alfonso I) ابن الدوق بطرس الملقب بالكاثوليكي، وهو من أصل قوطي، وهو ما تسميه الرواية الإسلامية بأذفونش⁽³⁶⁾ أو الفونس، ولم يكن من بيت بلاي، وإنما كان ابنا لبتروس (Pedro) دوق كنتبرية، وألفونسو الأول هو جد بني الفونس الذي اتصل حكمهم بعد ذلك، وتمكنوا من احتلال الكثير من البلاد الأندلسية⁽³⁷⁾.

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

وفي الحقيقة فإن بدرو والد ألفونسو الأول كان ينحدر من أسرة ملكية، وتدرج في الوظائف العسكرية، واختير قبيل الفتح الإسلامي دوقا لإقليم كنتبرية وكان يشمل وقتذاك لمنطقتي ألبه وبردوليا، وكان من حسن حظه أن القوات الإسلامية لم تطأ أراضي دوقيته في موجة الفتح الأولى بسبب احتجاب دوقيته وراء الجبال، وابتعادها عن خط سير الجيش الفاتح بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد، ثم لظروف استدعاء موسى بن نصير من طرف الخليفة الأموي كما ذكرنا ذلك سابقا، ومن بعدها حادثة اغتيال ابنه عبد العزيز، وكان واليا على بلاد الأندلس، وما ترتب عنه من توقف الفتح للمرة الثانية، فأفلت بدرو من السيطرة الإسلامية مؤقتا، وظل متخوفا من المسلمين، ولما علم بثورة بلاي في أشتوريس أرسل إليه ابنه الأكبر ألفونسو الأول على رأس قوات عسكرية لمعاونته في حرب المسلمين، وخاضت إلى جانبه معركة كوفادونجا، وشارك في إحراز النصر على المسلمين، ونتيجة لذلك كافأه بلاي بأن زوجه ابنته إرمسندا، وبذلك تقوت الروابط بين الأُسرتين الحاكميتين في كل من أشتوريس وكنتبرية، ولكن تمكن والي الأندلس عقبة بن الحجاج فيما بين عامي 116-121/734-739م من مهاجمة كنتبرية وانتزاع جزئها الشرقي المعروف بألبه، فاقتصرت دوقيته على الجزء الغربي المعروف بألبه، وهو الملاصق لإقليم أشتوريس من ناحية الشرق، وسيكون تجاور هاتين المنطقتين من عوامل تقارب سكانها النصارى، واتحادهم ضد المسلمين في الأندلس فيما يلي ذلك من سنوات، وأضحنا قاعدتين للحركات القومية الإسبانية، تنطلق منها حملات الاسترداد مع تراجع النفوذ الإسلامي وضعفه بسبب اختلاف المسلمين وتناحرهم⁽³⁸⁾.

يُمكن القول أن ألفونسو الأول يُعتبر المؤسس الحقيقي للمملكة النصرانية التي قامت في أشتوريس، وقد كان حريصا على خلافة فافيل في إقليم أشتوريس

الدكتور: مرزاق يومداح

لأنها تمثل عمقا حيويا لدوقيته بردوليا يقيمها هجمات المسلمين من ناحية الغرب، وبخاصة أن هؤلاء أضحووا جيرانه بعد أن فتحوا قسمها الشرقي المعروف بألبه في عهد والده. وهكذا توحدت لأول مرة جبهة المقاومة النصرانية في شمالي الأندلس ضد المسلمين منذ الفتح الإسلامي، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الإسلامية النصرانية في الأندلس هي مرحلة حرب الاسترداد، وستنقسم شبه جزيرة إيبيريا منذ ذلك التاريخ إلى قسمين موزعين بين الدولة الإسلامية والدولة النصرانية⁽³⁹⁾.

وكان تولي ألفونسو الأول لحكم هذه المملكة النصرانية، وطول مدة حكمه التي استغرقت حوالي تسع عشرة سنة أي من 121 إلى 140هـ/739 إلى 755م؛ فعاصر بذلك ستة من ولاية الأندلس وهم على التوالي: عبد الملك بن قطن، وبلج بن بشر القشيري، وثعلبة بن سلامة العاملي، وأبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، وثوابة بن سلامة الجذامي، ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري، فضلا عن عامين من حكم الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل، وفي ظروف كانت الحرب الأهلية تُمزق بلاد الأندلس، وكان أمر الولايات الشمالية فوضى، والضعف يسود المسلمين في تلك الأنحاء⁽⁴⁰⁾.

وكانت الظروف الصعبة التي تمر بها آنذاك بلاد الأندلس أن أتاحت الفرصة لألفونسو الأول لتحقيق طموحه والتوسع على حسابهم، وكان للصراع القبلي الدائر بين العرب والبربر أن اضطر العرب تحت ضغط البربر إلى إخلاء مساحات شاسعة من الأراضي في إقليمي جليقية وأشتوريس في سنة 123هـ/740م، ولم يبق فيهما غير البربر، ولما حلّ القحط في الأندلس في سنة 133هـ/750م نزح كثير من المسلمين البربر عن تلك الأنحاء، الأمر الذي أزاح الضغط عن صدر ألفونسو الأول وأتباعه، واشتد ساعد النصارى فيها، ورفعوا لواء الثورة، وفتكوا بالمسلمين، ونادوا بألفونسو الأول ملكا عليهم، وأتاح لهم القيام

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

بمحاولات لتهجير من تبقى من المسلمين. فانتهمز ألفونسو الأول هذه الفرصة فغزا أسُترقة، واستولى عليها من يد المسلمين، واستولى على كثير من البلاد والضياح المجاورة، وضمها لأملكه (136هـ-753م). وهكذا نمت تلك المملكة النصرانية، واتسعت حدودها، واشتد بأسها بسرعة كبيرة⁽⁴¹⁾.

وكان الجزء الشمالي من إقليم جيليقية وأشتوريس يمثل عمقا حيويا لمملكة ألفونسو الأول من ناحيتي الغرب حتى المحيط الأطلسي، ومن الجنوب حتى جبال كنتبرية، لذلك ركز جهوده في المرحلة الأولى على السيطرة عليهما، وطرد المسلمين منها عن طريق إثارة السكان النصارى ضدهم باسم الدين، وبخاصة أن أعداد المسلمين بهاته المناطق كانت قليلة، وعدتهم هزيلة، وقد أدت قلة الأموال والأقوات وغلو الأسعار، بحيث عجز نصارى جيليقية وأشتوريس عن دفع الجزية والخراج للمسلمين، وأمام رفض المسلمين بإعفائهم من دفع التزاماتهم المترتبة عليهم بفعل القحط الذي كان يعمُّ البلاد آنذاك، فلم يجد نصارى تلك المناطق سوى الاستجابة لطلب ألفونسو الأول للتمرد ضد المسلمين، فاندلعت الثورة في سنة 133هـ/750م بأن امتنع نصارى شمالي جيليقية وأشتوريس عن دفع الخراج والجزية للمسلمين، كما ارتد كثير ممن دخل في الإسلام من ضعاف الإيمان وعادوا إلى نصرانيتهم⁽⁴²⁾.

ومن الطبيعي ألا يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام هذا الخطر على كيانه ووجودهم، فجاهدوا على قدر استطاعتهم في محاولات يائسة، وأغاروا على معاقل الثوار بمعزل عن والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري (129-138هـ/747-755م) الذي ظل على تجاهله لما كان يحدث في تلك الأطراف الشمالية النائية، تحت ضغط تردّي الأوضاع السياسية والاقتصادية، إلا أنهم عجزوا في النهاية عن وقف زحف النصارى، ففرّوا من أمامهم، وطردهم هؤلاء

الدكتور: مرزاق يومداح

وقتلوا كثيرا منهم، وأجبروا من نجا من المسلمين على عبور جبال كنتبرية إلى ما يليها جنوبا حيث احتموا بمدن أستورقة وليون وبراجا وغيرها⁽⁴³⁾.

وهكذا خرج المسلمون من شمالي جليقية وأشتوريس، وانحسر معهم الحكم الإسلامي، بعدما كان مصدر قلق وتهديد لمملكته أشتوريس من الناحيتين الغربية والجنوبية، وتحققت بذلك أولى أهداف ألفونسو الأول فسارع إلى ضم تلك الناحية إلى مملكته الصغيرة، فازدادت مساحتها زيادة وصلت ضعف حجمها، إذ امتدت حتى ساحل البحر المحيط غربا ولاصقت جبال كنتبرية جنوبا؛ وفوق ذلك كله اكتسبت أعداد كبيرة من النصارى، كان في حاجة إليها لتكوين جيش قادر على الدفاع عن مملكته، وسيصبح في المستقبل قادرا على شن الهجمات ضد المسلمين، وانتزاع منهم المزيد من الأراضي⁽⁴⁴⁾.

وانهالت الثورات على والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري في العديد من المدن الأندلسية خلال سنة 136هـ/754م وما يليها، وبالأخص ثورة مدينة سرقسطة، التي انشغل في القضاء عليها، وفي نفس السنة اشتدت وطأة القحط واستحكم الجوع بين سكان الأندلس، مما أجبرهم الكثير منهم على هجرة أماكن استقرارهم؛ لا سيما في منطقة حوض نهر دويرة محط أنظار ألفونسو الأول، فارتحل بعضهم إلى إقليم سرقسطة ووادي نهر إبرو، فقلت أعداد المسلمين في تلك المنطقة؛ فانهز ألفونسو الأول تلك الفرصة، فخرج بقواته في نفس سنة 136هـ/754م وبرفقته أخوه الأصغر فرويلة، وقاما بحملات سريعة واسعة المدى في حوض نهر دويرة⁽⁴⁵⁾.

وتمكن ألفونسو الأول من انتزاع عدة مدن وقرى من أيدي المسلمين، نذكر منها: أبورتو (Oporto)، وأنيجا (Aniga)، وبراجا (Braga)، وبراجنزا (Braganza)، وأجواس فلافيا (Augas Flavia)، ثم اندفع في غمرة حماسه وهاجم المدن التي تليها إلى الجنوب من نفس النهر مثل: لاميجو (Lamego)، وبيزيو

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

(Viseo)، وأجاتا (Agata)؛ ومن هناك تقدم نحو الشرق إلى مدن لديسما (Ledesma)، وسلمنكة (Salmanca)، وأبله (Avila)، وشقوبية (Segovia)، وسبولبيدا (Spulveda)؛ ثم عبر من هناك إلى المنطقة الواقعة بين نهري إبرو شرقا وبسوبرجا (Pisuergua) غربا فهاجم مدنها مثل أوسمة (Osma)، وأرجنثا (Arganza)، وقلونية (Clunia)، وأماية (Amaya) وكاربونييرا (Carbonera)، وأوكة (Oca)، وميراند دل إبرو (Miranda del Ebro)، ومابي (Mabe)، وربنديكا (Rebendica)، وأبييكا (Abieca)، وسنسيرو (Cenicero)، وأليسانكو (Alesanco) ثم تابع زحفه نحو الغرب على الأراضي المحصورة بين نهري بسوبرجا شرقا وإسلا غربا، وهاجم مدنها مثل: سمورة (Zamora)، وسلدانيا (Saldania)، وسيمانكس (Simancas)، وقريون (Carrion) حتى دخل الجزء الجنوبي من إقليم أشتوريس، واستولى على أهم مدنه مثل: مدينتي أستورقة (Astorga)، وليون (léon) ⁽⁴⁶⁾.

وبعد أن تمكن ألفونسو الأول من الاستيلاء على هذه المناطق، اتخذ طريق العودة إلى مملكته بعدما تمكن من القضاء على الوجود الإسلامي في منطقة حوض نهر دويرة قضاء يكاد يكون تاما إما بالقتل، أو بالتهجير ممن تتمكن من النجاة، ووفر الأمن والحماية لمملكته الجديدة على طول حدودها الجنوبية، وأمن بذلك خطر المسلمين على دولته ⁽⁴⁷⁾.

والتفت ألفونسو الأول بعد ذلك إلى الجهة الشرقية لمملكته حيث كان المسلمون يسيطرون على إقليم ألبه في وادي إبرو وما يليه شرقا في إقليم نبرة من أراضي البشكنس، فأثار السكان النصارى فيهما، وأقنع قادتهم بالثورة عليهم والتخلص كليا من وجودهم، فثار سكان بنبلونة في عام 138هـ/755-756م، وحتى يُخفف من ضغط المسلمين عليهم، هاجم إقليم ألبه، فتشتت القوى الإسلامية

الدكتور: مرزاق يومداح

التي رأت نفسها تحارب على جبهتين، ووصلت أنباء تلك الحوادث إلى مسامع والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وهو في مدينة سرقسطة، ولما كانت بنبلونة ذات أهمية سياسية وعسكرية كبيرة للمسلمين بفعل قربها من إقليم سرقسطة، بالإضافة إلى أنها تُشكل معبر للجيش الإسلامي من وإلى غالة (فرنسا)؛ فإنه لم يتردد في إرسال قوة بقيادة سليمان بن شهاب والحصين بن الدجن لإخماد الثورة في بنبلونة⁽⁴⁸⁾.

كانت هذه القوة الإسلامية أول بعث إسلامي يتحرك ضد نصارى الشمال منذ سبع عشر سنة خلت، كما كانت بادرة أمل بعودة حركة الفتوحات الإسلامية إلى سابق نشاطها وقوتها، لولا أن والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن كانت له وجهة أخرى. إذ من الواضح أنه أراد التخلص من قائدي الحملة لأنهما كانا من أشد المسلمين اعتراضا له وغلظة، حينما قرر القضاء على قادة ثورة سرقسطة، فبعثهما في قلة من العدد والعتاد بحيث ما إن وصلا إلى بنبلونة حتى تلقفهما الثائرون، وفتكوا بقواتهما، وكان سليمان بن شهاب من بين القتلى في حين نجا الحصين بن الدجن، ونتيجة لهذه المواجهة خرجت نبرة عن سيطرة المسلمين لكنها لم تدخل في طاعة ألفونسو الأول على الأقل خلال المدة المتبقية من عهده، والتي انتهت في سنة 140هـ/757م⁽⁴⁹⁾.

وفي الوقت الذي انصرف فيه المسلمون لإخماد ثورة بنبلونة، ضرب ألفونسو الأول ضربته الأخيرة، فهاجم إقليم ألبة وانتزعه من المسلمين، لكنه لم يعمد إلى مدّ سيطرته أو الاستقرار في كل الأراضي التي هاجمها، ولم يحتفظ إلا بالأراضي الواقعة إلى الشمال من جبال كنتبرية فقط، والتي تمتد على جانبي دولته شرقا في إقليم ألبة، وغربا في إقليمي جليقية وأشتوريس. أما حوض نهر دويرة الممتد إلى الجنوب فقد دمره وجعله أرضا مهجورة، وحاجزا طبيعيا بين مملكته في الشمال ودولة المسلمين في الجنوب، وسيكون هذا الشريط الفاصل ميدانا

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

مفتوحا لمواجهات عسكرية في المستقبل يحاول فيها كل طرف وقف تقدم الطرف الآخر⁽⁵⁰⁾.

وعلى هذا النحو تمكن ألفونسو الأول من تحقيق ما خطط له؛ فأخرج المسلمين من ألبّة، وساهم في فقدهم إقليم نبرة، وأبعد خطرهم المباشر عن دولته الناشئة، ووفر لها ما كان يبغيه من حماية وأمن على طول حدودها الشرقية والغربية والجنوبية، وبالتالي أصبحت الإمارة النصرانية تضم أشتوريش، وسانت أندير (Santander)، وأجزاء من برغش (Burgos)، وليون وجليقية. أي نحوريع شبه الجزيرة الآيبيرية، وأصبحت حدود الأندلس الإسلامية، عند وفاة ألفونسو الأول في مستهل تأسيس الإمارة الأموية قد انحسرت عن منطقة حوض نهر دويرة، وسارت تمتد من سواحل المحيط الأطلسي مارة مع خط يمتد من مدينة قلمرية على نهر منديق في أقصى الغرب ثم قورية وطلبيرة وطليلة على نهر تاجه، ومنها إلى وادي الحجارة وتليلة على نهر إبرو ثم تنتهي عند بنبلونة، وأضحى هذا الخط ثغورا إسلامية في مواجهة الثغور النصرانية، وقسمه المسلمون إلى ثلاث مناطق ثغرية هي الثغر الأدنى في أقصى الغرب، وقاعدته مدينة ماردة، والثغر الأوسط، وقاعدته مدينة طليلة، ثم الثغر الأعلى في أقصى الشمال الشرقي، وقاعدته مدينة سرقسطة⁽⁵¹⁾.

من خلال ما سبق يمكننا القول أن تمرد الأمير القوطي بلاي كانت له آثار وخيمة على الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس، والذي كان نتيجته عدم استكمال الفتوحات الإسلامية في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة الإيبيرية، ونظرا لانشغال المسلمين في البداية بمواصلة فتوحاتهم في بلاد الفرنجة (فرنسا)، ثم بعد ذلك دخولهم في صراعات قبلية عنصرية وتنازعهم حول كرسي الحكم؛ بالإضافة إلى حلول الجفاف والقحط الذي أصاب الأندلس خلال تلك الفترة، مما أدى إلى نزوح الكثير من المسلمين عن المناطق الشمالية نحو الجنوب؛ فكانت هذه الظروف مواتية للأمير بلاي وخليفته ألفونسو الأول حيث تمكنوا من طرد من تبقى من المسلمين في المناطق الشمالية الغربية من بلاد الأندلس، وتأسيس مملكة أشتوريس، وبالتالي أدى ذلك إلى فقدان المسلمين نحو ربع أراضي شبه أراضي الجزيرة الإيبيرية، ومن ثمّ لم تصبح بلاد الأندلس بعد ذلك قطرا إسلاميا خالصا، وإنما قُسم إلى قسمين: الدولة النصرانية في الشمال والدولة الإسلامية في الجنوب، وسيتمكن أحفاد بلاي وألفونسو الأول بعد عدة قرون من الحروب والصراع مع المسلمين من طرد المسلمين نهائيا من بلاد الأندلس، وكان ذلك بعد سقوط مملكة غرناطة المعقل الأخير للمسلمين على يد الملكين الكاثوليكين فرناندو الخامس وإيزابيلا في 02 ربيع الأول 897هـ/02 جانفي 1492م، وأصبحت بلاد الأندلس فيما بعد تمثلها دولتان نصرانيتان وهما إسبانيا والبرتغال، واللذان ستأخذان على عاتقهما مهمة شن الحروب الصليبية ضد سكان بلاد المغرب، وتتمكنان في القرن 10هـ/16م من احتلال السواحل المغربية الممتدة من طرابلس شرقا إلى سواحل المغرب الأقصى غربا.

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

الملحق رقم 01: خريطة تمثل فتح بلاد الأندلس في عهد موسى بن نصير وطارق

بن زياد

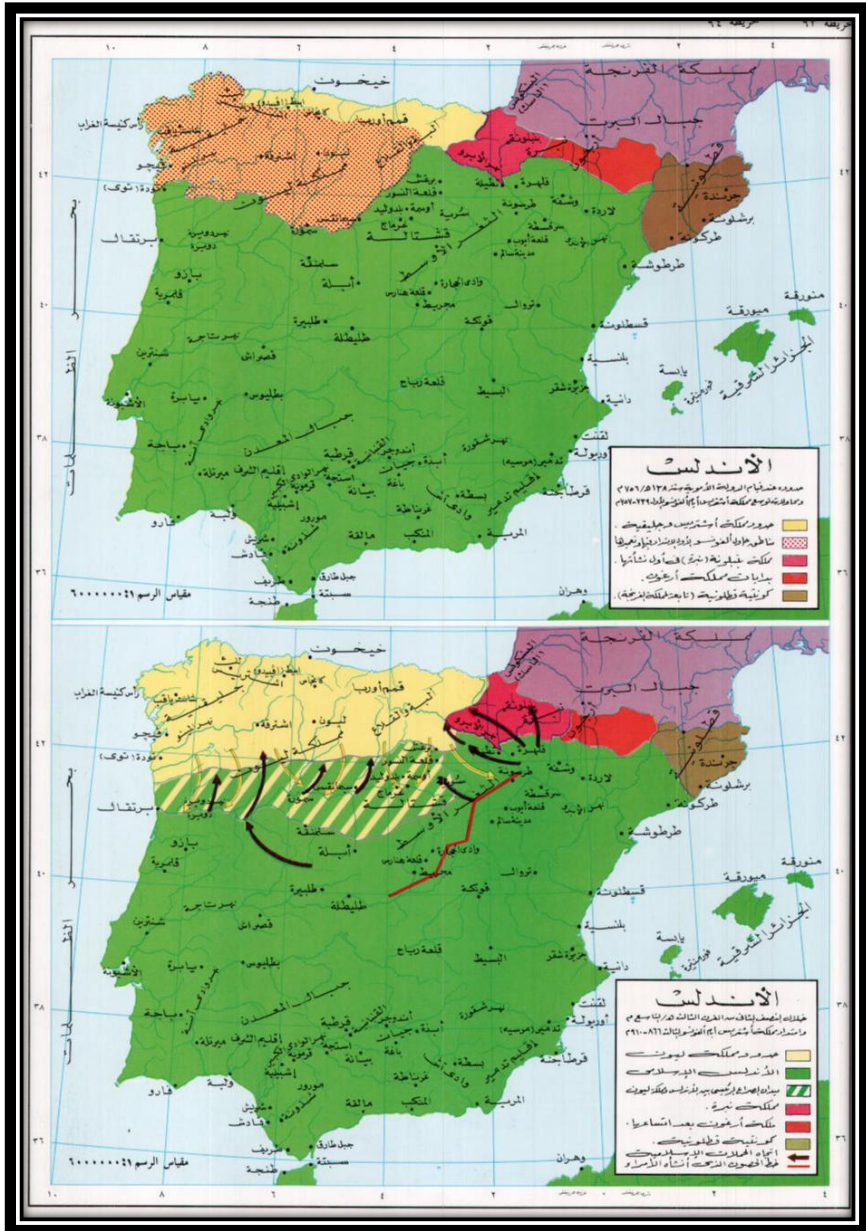


نقلا عن: حسين مؤنس، 1987م، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة-مصر، ص123.

الدكتور: مرزاق يومداح

الملحق رقم 02: خريطتان تمثلان مراحل توسع مملكة أستوريس والممالك

النصرانية في بلاد الأندلس



نقلا عن: مؤنس، المرجع السابق، ص 171.

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

756-717هـ/140-98م

(1) موسى بن نصير: هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد، ويكنى بأبي عبد الرحمن، يقال أنه مولى لقبيلة لخم اليمنية، وقيل إنه من أراشة من قبيلة بلي اليمنية، وقيل من قبيلة بكر بن وائل العدنانية، ويذكر أولاده أنه من قبيلة بكر بن وائل، وغيرهم يقول أنه مولى، وقيل أنه كان مولى لبني أمية، ويقال أنه عربي، وهناك اختلاف كبير بين المؤرخين في تاريخ توليته حكم إفريقية والمغرب، فقيل في عام 696هـ/77م أو في عام 78هـ/697م أو في عام 79هـ/698م أو في عام 86هـ/705م أو في عام 88هـ/707م أو في عام 89هـ/708م، وقد تمكن من فتح المغرب الأوسط ثانية والمغرب الأقصى، وفتح بلاد الأندلس، وتوفي في سنة 98هـ/717م أو في سنة 99هـ/718م بالمدينة المنورة أو بوادي القرى، للمزيد من التفصيل عن سيرته أنظر: خلف بن عبد الملك بن بشكوال، 1374هـ/1955م، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ص472؛ بكر عبد الله بن محمد المالكي، 1414هـ/1994م، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسألكم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان؛ ج1، ص ص119-120؛ علي بن الأثير، 1417هـ/1997م، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ج4، ص20؛ إسماعيل بن كثير، 1407هـ/1986م، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت-لبنان، ج9، ص ص171-174؛ أحمد بن عذاري، 1983هـ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ج1، ص ص39-46؛ محمود شيث خطاب، 1404هـ/1984م، قادة فتح المغرب العربي، ط7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ص221-309.

(2) مجهول، 1867م، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مطبعة ريدنير، مدريد-إسبانيا؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص39؛ عبد الرحمن علي الحجي، 1402هـ/1981م، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، ط3، دار القلم، دمشق-سوريا، ص ص43-54.

(3) تضاربت الآراء حول شخصية يولييان حاكم سبتة فهناك من يرى أنه قوطي الأصل، وهناك من يرى أنه بيزنطي، أو بربري من قبيلة غمارة، ولكن معظم الروايات تتفق على أنه كان يحكم سبتة وما يجاورها في الوقت الذي وصل فيه العرب إلى الطرف الغربي الأقصى من شمال أفريقيا. ومن المرجح أنه كان الحاكم البيزنطي لإقليم موريطانيا الطنجية (Mauretania Tingitania) الذي كان تابعاً للإمبراطورية البيزنطية، ولكنه بعد تقدم المسلمون في شمال أفريقيا انقطعت به الأسباب عن بيزنطة، فأصبح مستقلاً في هذه الناحية، واضطر للاتصال بالقوط في عهد الملك غيطشة، وقام بين الاثنين تعاون قوامه إرسال المؤن والامدادات من إسبانيا إلى يولييان. ويبدو أن موت غيطشة واستيلاء لذريق على العرش قد وضع حداً لهذه العلاقات الطيبة لا سيما أن يولييان كان من أصدقاء غيطشة. ولهذا فلم يكن أمام يولييان إلا الرضوخ للمسلمين والتعاون معهم، لا سيما أنه رأى أن الأمور تسير لصالح المسلمين والمستقبل يُبشر بتفوقهم على القوى الأخرى في المنطقة. أنظر: خليل

الدكتور: مرزاق يومداح

إبراهيم السامرائي وآخران، 2000م، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ص25.

(4) طريف بن مالك: يكنى أبا زُرْعة، وهو مولى موسى بن نصير، الذي تُنسب إليه جزيرة طريف، وهو ينتسب إلى قبيلة بَرَعَوَاطة البربرية من قبائل البرانس، وكانت قبيلة بَرَعَوَاطة تسكن الإقليم المواجه للمحيط الأطلسي شمال وادي أم ربيع، حول منطقة مدينة الرباط الحالية. وتذهب بعض المصادر، إلى أنه كان من أهل اليمن، فهو أبو زُرْعة طريف بن مالك المَعَاقِرِي، الاسم طبق الكنية، والمعارف باليمن والأندلس ومصر، والأصل من اليمن لأنهم من سبأ. وقيل هو طريف بن مالك التَخَعِي، والتَخَعُ بن عامر من سبأ، أيضاً، وسبأ من اليمن. ومن الواضح، أن طريف بن مالك ليس عربياً، فهو ليس من المعافرو ولا من النخع، بل هو بربري من المغرب، وإن كان البربر يرجع أصولهم إلى عرب اليمن. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، ج1، ص154؛ محمود شيت خطاب، 1424هـ/2003م، قادة فتح الأندلس، ط1، مؤسسة علوم القرآن، منار للنشر والتوزيع، ج1، صص416-417. عثمان سعدي، 2018م، البربر الأمازيغ عرب عاربة، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكيفان-الجزائر، صص50-100.

(5) ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص39؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص4؛ عنان، المرجع السابق، ج1، ص40؛ الشططشاط، المرجع السابق، ج31.

(6) القوط: يرجع أصلهم إلى القبائل الجرمانية الذين اندحدروا في أواسط القرن الثاني للميلاد من مساكنهم يومذاك على شواطئ نهر الفستولا، وتوجهوا إلى الجنوب، وكانت مملكة القوط الغربيين هي الأخيرة في سلسلة ممالك البرابرة الجرمان التي خلفت الإمبراطورية الرومانية، وذلك بعد أن انتهت هذه الأخيرة ككيان سياسي، واختفت من ميدان التاريخ. ولقد تمت عملية استيطان القوط الغربيين في إسبانيا في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس للميلاد. وكانوا يمثلون أقلية صغيرة فقط ضمن السكان الأصليين، وكان نظام الحكم القوطي ملكياً قائماً على مبدأ الانتخاب، حيث ينتخب الملك من قبل النبلاء ورجال الدين، وكان الملك هو الرئيس الأعلى للجيش ويتمتع بحق تعيين وعزل الأساقفة عن مناصبهم الدينية، وكان يحكم حكماً مستبداً، يتصرف في أمور البلاد كما يشاء. وإن كان للملك مجلساً من النبلاء لمساعدته في إدارة الحكم، وكان ديانة القوط هي الديانة النصرانية على المذهب الآريوسي، ثم تحولوا في سنة 587م إلى المذهب الكاثوليكي. عنان، المرجع السابق، ج1، صص28-29. السامرائي، المرجع السابق، صص13-14؛ خطاب، قادة فتح الأندلس، ج1، صص115-116؛ رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، 1998م، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، ج1، صص32-40؛ مانع الجني، 1420هـ، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ج2، صص569، 584، 600، 614. محمد بن قيم الجوزية، د. ت. ط، إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض-السعودية، ج2، ص271.

(7) الحجي، المرجع السابق، ص46.

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

140-98هـ/756-717م

(8) ذكر ابن عذاري نسب طارق بن زياد بقوله: "هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورنجوم بن نبرغاس بن ولهاص بن بطوفت بن نفزاو؛ فهو نفزي ذكر إنه من سبي البربر، وكان مولى موسى بن نصير". أنظر: أحمد بن عذاري، 1983هـ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ج1، ص43.

(9) عبد الرحمن بن عبد الحكم، 1415هـ، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، ص233؛ مجهول، المصدر السابق، ص6؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص5-6؛ المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص231؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص ص32-33؛ شاكر مصطفى، 2002م، الأندلس في التاريخ، دار الإشبيلية-سوريا، ص17؛ الحجي، المرجع السابق، ص ص49-50.

(10) لذريق: الخلاف شديد حول أصل لذريق، فمن قائل: إنه كان زعيماً قوطياً كبيراً ذا علم بأمور الحرب والسلم، ومن قائل: إنه ينحدر من أصلاب ملكية، وأن جدّه الملك شنداسفنتو، ومن قائل: إنه ابن تيودفريدو دوق قرطبة الذي كان غيطشة قد عاقبه على ثورته عليه بسمل عينيه. ويذكر صاحب كتاب أخبار مجموعة أن لذريق: "ليس من بيت الملك، إلا أنه من قوادهم وفرسانهم"، أما الحميري فيذكر أن لذريق: "لم يكن من أبناء الملوك ولا بصحيح النسب في القوط، وإنما نال الملك من طريق الغصب والتسور عندما مات غيطشة الملك وكان أثيراً لديه فاستصغر أولاده واستمال طائفة من الرجال مالوا إليه فانترع الملك من ولد غيطشة"، ومهما يكن من أمر، فإن المراجع الإسبانية اللاتينية القديمة، تجمع على أنه كان رجلاً قادراً، وأنه كان قبل اعتلائه العرش حاكماً لولاية بيتيكا، وأن الذين يابعوه على العرش فعلوا ذلك في قرطبة عاصمة ولايته، والثابت أنه سار إلى طليطلة بعد أشهر من إعلان نفسه ملكاً على رأس جيش كبير، فيه جلة قواد القوط ونبلائهم، وهزم رخشندش في واقعة حاسمة، قتل فيها هذا الأخير وتفرق أتباعه. أما أبناء غيطشة، فلم يجدوا مفرّاً من مغادرة البلاد فراراً من الغاصب، ففروا إلى إفريقية، وصادر لذريق أملاكهم معتبراً إياهم ثائرين على العرش. أحمد بن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص3؛ خطاب، قادة فتح الأندلس، ج1، ص ص132-133؛ مجهول، المصدر السابق، ص5؛ محمد بن عبد الله الحميري، 1408هـ/1988م، صفة جزيرة الأندلس، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشها: إ. ليفي بروفنسال ومدير فخري، ط2، دار الجيل، بيروت-لبنان، ص6.

(11) الفرنتيره: هي المنطقة الوسطى والغربية في المثلث الإسباني، وتمتدّ من قادس جنوباً حتى طرف الغار. عنان، المرجع السابق، ج1، ص41؛ خطاب، المرجع السابق، ج2، ص141.

(12) يذكر المقرئ أن الجيش الذي دخل به طارق بن زياد إلى الأندلس قد بلغ قوامه اثني عشر ألفاً من البربر ومعهم اثني عشر رجلاً من العرب؛ بينما يذكر ابن خلدون أن طارق بن زياد كان معه زهاء عشرة آلاف من البربر ونحو ثلاثمائة من العرب، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص156؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص6؛ المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص ص231-232؛ عنان، المرجع السابق، ج1، ص41؛ الحجي، المرجع السابق،

ص52

الدكتور: مرزاق يومداح

(13) ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص ص40، 240؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص156؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص231، 240؛ عنان، المرجع السابق، ج1، ص42؛ الحجي، المرجع السابق، ص53؛ دوزي، المرجع السابق، ج1، ص44.

(14) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص235؛ مجهول، المصدر السابق، ص ص7-9؛ محمد بن عمر بن القوطية، 1410هـ/1989م، تاريخ افتتاح الأندلس، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر، ص33؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص40؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص7؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص258-260؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص ص35-36؛ محمد عبده حتاملة، 2000م، الأندلس التاريخ والحضارة والمنحة دراسة شاملة، مطابع الدستور التجارية، عمان-الأردن، ص ص69-71؛ دوزي، المرجع السابق، ج1، ص45.

(15) ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص ص40-41؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص260-265؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص ص39-41.

(16) حتاملة، المرجع السابق، ص80.

(17) مجهول، المصدر السابق، ص ص15-19؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص12-15؛ خلدون، المصدر السابق، ج4، ص150؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص ص44-49؛ عنان، المرجع السابق، ج1، ص52؛ حتاملة، المرجع السابق، ص ص82-87.

(18) مجهول، المصدر السابق، ص ص15-19؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص12-15؛ خلدون، المصدر السابق، ج4، ص150؛ عبد الله بن قتيبة، 1410هـ/1990م، الإمامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، ط1، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ج2، ص ص89-90؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص ص44-49؛ عنان، المرجع السابق، ج1، ص52.

(19) مجهول، المصدر السابق، ص19؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص16؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص273-277؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص ص50-51؛ حتاملة، المرجع السابق، ص ص90-92؛ حسين مؤنس، 1405هـ/1985م، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711-756م)، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة-السعودية، ص ص102-103.

(20) ابن القوطية، المصدر السابق، ص36؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص ص42-43؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص276؛ الشطشاط، المرجع السابق، ص ص51-52؛ الحجي، المرجع السابق، ص ص110-113.

(21) مؤنس، فجر الأندلس، ص ص318-319؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص130.

(22) مجهول، المصدر السابق، ص61؛ المقري، المصدر السابق، ج3، ص17؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص229-230؛ مؤنس، المرجع السابق، ص ص319-321.

(23) عنان، المرجع السابق، ج1، ص210؛ ص ص208-210؛ عبد المحسن طه رمضان، 2001م، الحروب الصليبية في الأندلس ميلادها وتطورها حتى القرن العاشر مع دراسة نقدية لمصادرها العربية والإسبانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة-مصر، ص ص208-210.

تمرد الأمير القوطي بلاي وقيام مملكة أشتوريس في شمال الأندلس

756-717هـ/140-98م

- (24) رمضان، المرجع السابق، ص ص213-214: عنان، المرجع السابق، ج1، ص208.
- (25) رمضان، المرجع السابق، ص ص215-224: المقري، المصدر السابق، ج4، ص350.
- (26) رمضان، المرجع السابق، ص ص224-225.
- (27) مجهول، المصدر السابق، ص28: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص229: المقري، المصدر السابق، ج3، ص17: السامرائي وآخران، المرجع السابق، ص ص47-48: محمد سهيل طقوش، 1431هـ/2010م، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، بيروت-لبنان، ص108: رمضان، المرجع السابق، ص226.
- (28) رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، 1985م، دار الكتاب المصري، القاهرة-مصر، ص ص32.
- (29) رمضان، المرجع السابق، ص ص237-239: عنان، المرجع السابق، ج1، ص211.
- (30) عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص34-35: طقوش، المرجع السابق، ص108: رمضان، المرجع السابق، ص ص249-258.
- (31) مجهول، المصدر السابق، ص ص61-62: المقري، المصدر السابق، ج3، ص17، ج4، ص ص350-351: مؤنس، المرجع السابق، ص ص321-342: طقوش، المرجع السابق، 108: السامرائي، المرجع السابق، ص136.
- (32) مجهول، المصدر السابق، ص28: المقري، المصدر السابق، ج3، ص17: محمد بن فتح الحميدي، 1966م، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة-مصر، ص319م: طقوش، المرجع السابق، ص109: رمضان، المرجع السابق، ص ص265-266: عمر فروخ، 1378هـ/1959م، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، ط1، منشورات المكتب التجاري، بيروت-لبنان، ص120.
- (33) منوسة: إن منوسة على الأرجح هو ذلك الزعيم الذي دخل الأندلس مع جيش طارق بن زياد، وهو أحد زعماء البربر الذي كان يتألف منهم معظم جيشه، وبالتالي فإن ما ذهب إليه بعض المؤرخون من أن منوسة اسم ربما يكون لمدينة ماسون الفرنسية الواقعة إلى الشمال من مدينة ليون على وادي ردونة (نهرالرون)، وأن الهيثم بن عبيد الكنانني حسب رواية ابن عذاري وابن خلدون قد وصل إليها، إن ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون يفتقر إلى الدليل القاطع، وقد اشتبك منوسة بقواته مع والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي في بعض حروبه أثناء محاولته فتح بلاد غالة، بعد أن كان منوسة متحالفا مع دوق أكيثانيا النصراني. أنظر: ص119: ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص28: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص152: الحجي، المرجع السابق، ص ص192-193: مؤنس، المرجع السابق، ص ص250-253.
- (34) ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص28: عنان، المرجع السابق، ج1، ص ص88، 211-212: حتامله، المرجع السابق، ص129.

الدكتور: مرزاق يومداح

- (35) مجهول، المصدر السابق، ص ص61-62؛ طقوش، المرجع السابق، ص109؛ عبد الحليم، المرجع السابق، ص37؛ حتامله، المرجع السابق، ص ص167-168.
- (36) أنظر على سبيل المثال: ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص83؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص351.
- (37) طقوش، المرجع السابق، ص109؛ عنان، المرجع السابق، ج1، ص213؛ مؤنس، المرجع السابق، ص343-344.
- (38) طقوش، المرجع السابق، ص ص109-110؛ رمضان، المرجع السابق، ص ص300-301.
- (39) طقوش، المرجع السابق، ص110؛
- (40) رمضان، المرجع السابق، ص ص304-305؛ عنان، المرجع السابق، ص ص213-214؛ حتامله، المرجع السابق، ص144.
- (41) طقوش، المرجع السابق، ص110؛ عنان، ص214.
- (42) رمضان، المرجع السابق، ص ص322-323.
- (43) طقوش، المرجع السابق، ص111.
- (44) مجهول، المرجع السابق ص ص61-62؛ رمضان، المرجع السابق، ص ص324-325.
- (45) رمضان، المرجع السابق، ص ص325-326.
- (46) مجهول، المصدر السابق، ص ص64-66؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص41-44؛ طقوش، المرجع السابق، ص112؛ رمضان، المرجع السابق، ص ص326-327.
- (47) رمضان، المرجع السابق، ص327.
- (48) مجهول، المصدر السابق، ص ص76-77؛ محمد بن الأبار، 1985م، الحلة السرياء، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة-مصر، ج2، ص ص354-355؛ عنان، المرجع السابق، ج1، ص214؛ طقوش، المرجع السابق، ص ص112-113.
- (49) رمضان، المرجع السابق، ص ص330-331؛ طقوش، المرجع السابق، ص113.
- (50) رمضان، المرجع السابق، ص ص331-332؛ طقوش، المرجع السابق، ص113.
- (51) رمضان، المرجع السابق، ص333؛ طقوش، المرجع السابق، ص113؛ السامرائي وآخران، المرجع السابق، ص ص137-138.